مقاربات شعرية ومحاورة النصوص
صورة العدو في الجاهلية والإسلام

د. أحمد فرحات كلية الفارابي بجدة

أولا: العصر الجاهلي

تباينت صورة العدو في العصر العصر الجاهلي تبعا لتباين ملامح الأعداء وانتماءاتهم المختلفة، فقد يكون العدو غاصب حق أو مدعيا له، أو غازيا معتديا على حق غيره من البشر، ومن المعلوم أن الشاعر في الجاهلية كان مرتبطا بالقبيلة كل الارتباط، فارتباط الشاعر بالقبيلة ارتباط وثيق في العصر الجاهلي، وغدا الشاعر لسان قبيلته، ووسيلة إعلامها، والمتحدث الرسمي باسمها في مختلف المحافل الرسمية وغير الرسمية، وجاء صوت الشاعر مجلجلا معبرا عن طموحاته، وطموحات قبيلته في صورة فخر ذاتي أو قبلي.

ويكون الصوت أكثر علوا إذا أراد الشاعر علوه وارتفاعه، وذلك يتأتى من الإحساس العميق بنشوة النصر، وما تحدثه هذه النشوة من زهو وخيلاء في نفس الشاعر. وكذلك أيضا في نفوس أبناء القبيلة إن كان قائما على افتخار العشيرة بما هي عليه من قوة وعزة، ومكانة مرموقة بين القبائل الأخرى، لا سيما في مجتمعات قبلية تتمثل فيها الوسيلة الأولى لضمان حياة حرة كريمة.[1]

غير أن الملمح المميز لصورة العدو في الجاهلية والإسلام هو الإنصاف وإظهار الحق والمزية التي يتحلى بها العدو، دون خجل أو إبراز لنقص أو عيب، بقدر ما كان ملمحا عاما وسم معظم قصائد العصرين بسمة قلما نجدها في آداب الغرب .

تطالعنا صورة العدو عند ميمون بن قيس شاعر العرب في الجاهلية، بشكل ليس بمستغرب على عربي العصر إذا نظر إلى الغربي والأعجمي هذه الأيام، فإن العدو عند ميمون بن قيس من السادة الشرفاء وهم من أبناء الملوك العظماء، يتقلدون الأقراط في الأذن، وأنهم مدربون على فنون القتال، وضروبه المختلفة، ويعرفون كيف ومتى يستخدمون السهام والسيوف عند الضرورة، وأن صفوفهم منتظمة، وأعدادهم كبيرة، تسد الآفاق كالليل المظلم الذي يغمر الأرض بظلامه، وأنهم معتادو القتال في المعارك الحامية. صحيح أن الشاعر وقومه من العرب انتصروا عليهم في المعركة، لكن الشاعر أيضا انتصف لهم وأعطاهم حقهم من الإنصاف ، ووصفهم بما يليق به الوصف، لأن العربي القديم إنسان بما تحمل هذه الكلمة من معاني الإنسانية في العصر الحديث، فهو لم يبخسهم حقهم ، بل نصفهم وأبرز مزاياهم إيمانا منه بأن يعطي كل ذي حق حقه.

وَجُنْـدُ كِسْـرَى غَـدَاةَ الحِنْـوِ صَـبَّحَهُمْ مِنَّا كَتَائِبُ تُزْجِي المَوْتَ فَانْصَرَفُوا[2]

جَحَـــاجِحٌ وَبَنُـــو مُلْـــكٍ غَارِفَـــةٌ مِنَ الأَعَاجِمِ في آذَانِها النَّطَفُ[3]

إِذْا أَمَـــالُوا إِلَـــى النَّشَّـــابِ أَيْـــدِهُمْ مِلْنَا بِبِيْضٍ فَظَلَّ الهَامُ يُخْتَطَفُ[4]

وَخَيْـــلُ بَكْـــرٍ فَمـــا تَنْفَـــكُّ تَطْحَـــنُهُمْ حَتَّى تَوَلَّوْا وَكَادَ اليَوْمُ يَنْتَصِفُ

([1]) انظر:الشعر وأيام العرب في العصر الجاهلي. د. عفيف عبد الرحمن. دار الأندلس. بيروت. لبنان. ط1 1984م. ص236.

([2])الحنو: منعرج الوادي. ويوم الحنو هو يوم ذي قار. صبحهم: غزاهم صباحا.

([3])الجحجح والجحجاح(كلها بالفتح) السيد المسارع إلى المكارم. وكذلك الغطريف. بكسر الغين. النطفة: اللؤلؤة تعلقها الأعاجم من الأذن.

([4])النشاب: السهام. البيض: السيوف. وطبق السحاب الجو. وطبق الماء وجه الأرض: غطاه. السدف: الظلمة.

لَمَّـــا أَتَوْنَـــا كَـــأَنَّ الليْـــلَ يَقْـــدُمُهُمْ مُطَبَّقُ الأَرْضِ يَغْشَاهَا بِهِمْ سَدَفُ[5]

قد يقول قائل: إن العربي القديم كان يعظم من شأن خصمه ليظهر قوته!

لكن هذا الكلام قد يكون صحيحا لو أن ذلك حدث مرة أو مرتين فحسب، ولكن كون العربي القديم تناول هذا المنهج في كثير من صوره وموضوعاته الشعرية، فلابد أن يكون صوته له مكانته وتقديره ، واهتمامنا به إنما يكون من باب الإنصاف أيضا.

وعرفت في المجتمع الجاهلي أصوات كثيرة تنتهج هذا المنهج لإبراز صورة العدو، وهي صورة تختلف وتتمايز عن صورة الشاعر الذي يصف الأعداء بأنهم أقل شأنا وخطرا، وتلك الصورة تنحرف بمسارها عن الطريق التي رسمته القبيلة، وتمثل ذلك في شعر الشعراء الصعاليك، وشعر المنصفات؛ فشعر المنصفات لون من ألوان الشعر العربي يسير في اتجاه معاكس لاتجاه الشعراء في فخرهم بذواتهم وذويهم، ويقف من الخصم موقفا مغايرا لما عرف عن معظم شعراء العصر الجاهلي من ازدراء بالخصم، واستهانة به خاصة عند النصر عليه. فجاء صوت الشاعر المنصف متهدجا تارة، ومرتفعا أخرى، ورافضا في أحيان كثيرة. وصوت الرفض الذي أعلنه الشاعر الجاهلي كان قاصدا به قبيلته لأنها استسلمت، وربما فرت من ساحة الميدان، فجاء صوت الشاعر رافضا هذا المنزع الخجولي، ومعلنا العصيان لقبيلته، ومعلنا رضاه عن القبيلة التي انتصرت، وربما مدحها.

عمرو بن مَعْدِيكَرِبَ الزبيدي له تجربة في هذا المعنى، وذلك عندما وقف من قبيلته موقفا يعلن من خلاله رفضه لسلوكها في الحرب، ومعلنا رضاه المطلق للقبيلة التي هزمته، فقال(الطويل):

ومُـــرْدٍ عَلَـــى جُـــردٍ شَـــهِدْتُ طِرادَهـــا قَبيـــلَ طُلُـــوعِ الشَّـــمْسِ أو حِـــينَ ذَرَّتِ

صَـــبحْتُهُمُ بيضـــاءَ يَبـــرُقُ بَيضُـــها إذَا نظـــرَتْ فِيهـــا العيـــونُ ازمَهـــرَّتِ

ولمَّـــا رأيـــتُ الخيـــلَ رَهـــواً كأنّهـــا جَـــداوِلُ زرعٍ أرسِـــلَتْ فأسْـــبَطرَّتِ

فجَاشَـــتْ علـــى الـــنّفسُ أولَ وهلـــةٍ وَرُدَّتْ علَـــى مكرُوهِهـــا فاســـتقرَّتِ

عـــلامَ تقـــولُ الـــرُمحُ يُثقـــلُ عَـــاتِقِي إذَا أنَـــا لـــمْ أطعُـــنْ إذ الخيـــلُ ولّـــتِ

عَقَـــرْتُ جَـــوادَ ابنْـــي دُريـــدٍ كليهِمـــا ومَـــا أخَـــذَتْني فـــي الخُتُونَـــة عِزَّتـــي

لَحَـــا اللهُ جَرْمـــاً كلّمَـــا ذَرَّ شـــارقٌ وُجـــوهُ كِـــلابٍ هَارَشَـــتْ فازبَـــأرَّتِ

ظَلِلْـــتُ كـــأنّي للرمـــاحِ دريّنَـــةٌ أقاتِـــلُ عَـــنْ أبنـــاءِ جَـــرْمٍ وفـــرَّتِ

فلـــمْ تُغـــنِ جـــرْمٌ نهْـــدَهَا إذْ تَلاقيَـــا ولكـــنَّ جَرمـــاً فـــي اللقـــاءِ ابْـــذَعَرَّتِ

فلـــو أنَّ قـــومِي أنطقتنِـــي رمَـــاحُهُمْ نطقـــتُ ولكِـــنَّ الرِمـــاحَ أجـــرَّتِ(6)

فالشاعر يعبر عن شدة سخطه وغضبه لفرار قبيلته وهروبها، ويلمح بإعجابه بالقبيلة المنتصرة، ويصف جنودها بأنهم مرد قد امتطت جردا، ويمدح كثرة عددهم، وأن العين إذا نظرت اليهم ازمهرت، وقد جاء الأعداء راكبين خيولهم مسرعين كأن الخيل من كثرة عددها وتتابعها أمواه أنهار كيرة وممتدة في سرعة فائقة، لا يستطيع هو وقبيلته اللحاق بها، وهو عندئذ ارتاع وفزع بادئ الأمر، لكنه سرعان ما تماسك، وثبت في المعركة وحده، في الوقت الذي فرت فيه قبيلته، وهو قد حاول أن يثبت

([5])ديوان الأعشى الكبير. ميمون بن قيس. مكتبة الآداب بالجماميز . المطبعة النوذجية.(د.ت) شرح وتحقيق: محمد محمد حسين. ص 311.

([6]) الأصمعيات . ص121.

بني قومه ليحاربوا بجانبه؛ فعقر جواد ابن دريد كي يثبتوا ويقاتلوا، لكنهم لم يسمعوا له، وهربوا وتركوه وحده. ثم ارتفع صوته لائما قبيلته، داعيا عليها بالهلاك، ثم وصفها وصفا قبيحا لينفر منها ومن جرمها، فشبهها بوجوه كلاب وقد انتفش شعرها حتى ظهر أصله، وقد تجمعت للوثب.

وتعبر الأبيات عن إدراك فني رفيع، فالقصيدة نفثة شعورية صادقة وصارخة في وجه القبيلة التي فرت، واستطاع التشبيه أن يجسد هذه النفثة الشعورية فقوله(الخيلَ كأنَّها جَداوِلُ زرعٍ أُرسِلَتْ فأسْبَطَرَّتِ) تشبيه يقوم على إبراز صورة جيش الخصم؛ فخيولهم في تتابعها وامتدادها وكثرتها تشبه الأنهار التي تروي الزرع ولا تسير في طريق محدد، بل تتمايل هنا وهناك لتصل إلى كل الأماكن. فالتشبيه هنا يدل على كثرة الجيش، وامتداده، وتتابعه، مما جعله أن يعلن في صراحة أن نفسه قد جاشت لأول وهلة، حتى حدثته نفسه بالهرب، لكنه أمرها بالثبات، واختار الشاعر لذلك كلمة "استقرت"دلالة على ثبات النفس وتماسكهاأمام شعور قد يذهب به بعيدا عن الثبات والاستقرار، ثم يأتي التشبيه الآخر" ظَلِلْتُ كأنِّي للرماحِ دريّئَةٌ" وهو تشبيه يقوم على إبراز جانب الإنصاف؛ لأنه صور الأعداء وهم يصوبون رماحهم في صدره كأنه أصبح حلقة يتعلم عليهاا الرماة الرمي، دلالة على حسن استعداد الخصم للقتال، وتماسك قواه في مواجهة قبيلة الشاعر، ثم نصل إلى مفارقة شديدة الأهمية في إبراز هذا الجانب، فهو يذب عن أبناء قبيلته وقد فرت، ولم تصبر على الثبات. ويؤكد هذا المعنى باستخدام دلالات بعض الألفاظ فقوله" ابْذَعَرَّتِ " يوحي بهروب القبيلة وعدم استطاعتها على الثبات، كما يوحي بحزن الشاعر تجاه موقف قبيلته. أما البيت الأخير فهو بمثابة الصرخة الكبرى التي أطلقها رافضا من خلالها تصرف القبيلة عن طريق أسلوب الشرط المتبوع بأداة التوكيد واستخدام أداة الاستدراك (لكن) التي أفادت كثيرا في التحول إلى الثناء على القبيلة المعادية وأن رماحهم قد منعته عن الكلام.

إن الشاعر يرفض الإذعان لسلطة القبيلة، على عكس دُرَيد بن الصِّمَّةِ الذي أعلن رضوخه واستسلامه المطلق لقبيلته، إن هي جارت يجور، وإن هي عدلت يعدل، فهو لا يخالف رأيها مهما كانت الظروف.

وقد يضطر الشاعر إلى إعلان حبه وإعجابه الشديدين بقبيلة أخرى لمجرد وقوفها معه موقفا نبيلا، كالذي حدث مع قريط بن أنيف؛ فالشاعر نظر إلى قومه فوجدهم ضعافا، لا يلبون نداء المستغيث بهم، ولا يستطيعون حماية أحد أفرادها من ظلم قد يقع به، فلامهم لوما لا يخلو من التهكم والسخرية، وأراد أن يستبدل بقومه قوما آخرين، يتسابقون في نصرة من يلجأ إليهم، مستعينا بهم، فقال قريط بن أنيف متهكما بقومه، مادحا بني مازن الذين نصروه(البسيط):

لَـو كُنْـتُ مِـنْ مَـازِنٍ لَـمْ تَسْـتَبِحْ إبِلـي ... بَنُـو اللّقِيطَـةِ مِـنْ ذُهْـلِ بـنِ شَـيبَانَا

إذَنْ لَقَـامَ بِنَصْـرِي مَعْشَـرٌ خُشُـنٌ ... عِنْـدَ الكَرِيهَـةِ إنْ ذُو لوثَـةٍ لَانَـا

قَـومٌ إذَا الشَّـرُّ أبْـدَى نَاجِذَيـه لَهُـمْ ... طَـارُوا إلَيـهِ زُرَافَـاتٍ وَوُحْـدَانَا

لَكِـنَّ قَـومِي وَإنْ كَـانُوا ذَوِي عَـدَدٍ ... لَيسُـوا مِـنَ الشَّـرِّ فـي شَـيءٍ وَإنْ هَانَـا

يَجْـزُونَ مِـنْ ظُلْـمِ أهْـلِ الظُلْـمِ مَغْفِـرَةً ... وَمِـنْ إسَـاءَةِ أهْـلِ السُّـوءِ إحْسَـانَا

كَـأنَّ رَبَّكَ لَـمْ يخْلُـقْ لِخِشْـيَتِهِ ... سِـوَاهُمْ مِـنْ جَمِيـعِ النّـاسِ إنْسَـانَا

فَلَيـتَ لِـي بِهِـمْ قَومـاً إذَا رَكِبُـوا ... شَـنّوا الإغَـارَةَ فُرْسَـانا وَرُكْبَانَـا

لا يَسْـأَلُونَ أخَـاهُمْ حِـينَ يَنْـدُبُهُمْ ... فـي النّائِبَـاتِ عَلَـى مَـا قَـالَ بُرْهَانَـا

لَكِـــنْ يَطِيـــرُونَ أَشْـــتَاتا إِذَا فَزِعُـــوا وَيَنْفِـــرُونَ إِلَـــى الغَـــارَاتِ وُحْـــدَانَا[7]

فالشاعر في هذا الموقف في خصومة مع قومه؛ لأن قومه -كما قال – لم ينصروه، بل خذلوه، وأنجده بنو مازن، وذلك عندما أغار على بعض إبله بنو شيبان، وأخذوا ثلاثين بعيرا، فهو في حيرة شديدة: إما الوفاء لقومه، والإخلاص لهم، والانصياع لأوامرهم، كما كان يفعل دُرَيد بن الصِّمَّةِ؛ وإما أن يهجرهم، ولا يبالي مغبة ذلك، وأيا كانت النتائج فالمهم إبله والحصول عليها، فهو لاشك واقع تحت مطرقة العادات، وهذا ما جعله يختار الاختيار الأصعب، وهو الانحياز لقبيلة غير قبيلته، يحتمي بها؛ لأنه نشد فيها بغيته، ووجد ضالته، فراح يمدحهم،ويشيد بنجدتهم، ونصرتهم للصريخ،بل أعلن عن شدة إعجابه بهم، وببسالتهم، وأنهم قوم لا يسألون المستغيث بهم برهانا على ما يدعي. وفي الوقت نفسة راح يتهكم بقومه، ويلوم عشيرته، ويعلن في صراحة تامة نقمته على قومه، وازدراءه من كثرة عددهم، بسبب ضعفهم، وجبنهم[8].

وإذا حاولنا توكيد هذه العلاقة المضطربة بين الشاعر وقبيلته فإننا لا نكون منصفين، وإنما هو صوت من أصوات الشعراء الجاهليين تجلى في بعض القصائد، وفي مجال الدراسات الأدبية يجدر بنا أن نتناول كل الأصوات التي تعبر عن مضامين فكرية، وآراء مغايرة لما عليه العرف العام في هذا العصر أو ذاك. وفي سبيل توضيح علاقة الشاعر بقبيلته على أساس أنها انحراف مسار عن نظام متصل، لا بد من الوقوف أمام قصيدة الحارث بن وَعْلَة الشيباني الذي وقع في خصومة أشد من الشاعر قريط بن أنيف؛ لأنه في هذه الخصومة يعرض فكرته بكل حزن، وغضاضة نفس، وذلك لأن قومه قتلوا أخاه، والخصومة هنا أشد من تخاذل القبيلة السابقة مع شاعرها؛ لأنها تجاوزت أهم خصوصيتها، وهي الحفاظ على الأفراد، وحمايتهم، والذود عنهم. وموقف الشاعر هنا موقف أشد صعوبة من سابقه، فيقول[9](الكامل):

قَـــومِي هُـــمُ قَتَلُـــوا أُمَـــيمَ أَخِـــي فَـــإِذَا رَمَيـــتُ يُصِـــيبُنِي سَـــهْمِي

فَلَـــئِنْ عَفَـــوتُ لأَعْفُـــوَنْ جَلَـــلا ولَـــئِنْ سَـــطوتُ لأوهِـــنَنَّ عَظْمِـــي

لا تَـــأْمَنَن قَومَـــاً ظلمْـــتهم وبـــدأتهم بالشـــتم والـــرغمِ

أَنْ يَـــأبِرُوا نَخْـــلاً لِغَيـــرِهِمِ وَالشَّـــيءُ تَحْقِـــرُهُ وَقَـــدْ يَنْمِـــى[10]

وَزَعَمْـــتُمْ أَنْ لا حُلـــومَ لَنَـــا "إنّ العَصَـــا قَرِعَـــتْ لِـــذِي الحِلْـــمِ"

ووطئتنـــا وَطْـــأَ عَلَـــى حَنَـــقٍ وَطْـــأَ المُقَـــيِّدِ نَابـــتَ الهَـــرْمِ[11]

([7])الحماسية الأولى من حماسة أبي تمام. انظر شرح ديوان الحماسة. للمرزوقي. أحمد أمين وعبد السلام هارون. ص22.

([8]) يرى المرزوقي في شرحه أن الشاعر يهدف إلى تهييج قومه فقط، وليس ذمهم؛ لأن أنصار المعاني لا يروق لهم أن يذم الشاعر قومه، وكيف ذلك وهو منهم؟ ونرى أن مائدة الأدب تتسع لتقبل الرأي والرأي الآخر. إذ إن اعتمادنا يكون على مباشرة النص الأدبي، وتحليله، واستبطانه، وتجاوز الأحكام المسبقة، والتعميمية. انظر شرح ديوان الحماسة. للمرزوقي. أحمد أمين وعبد السلام هارون. ص23 وما بعدها.

([9]) انظر الأبيات في كتاب: المصون في الأدب. لأبي أحمد العسكري. تحقيق: عبد السلام محمد هارون. التراث العربي، سلسلة تصدرها وزارة الإعلام في الكويت. 1984م. ص4. وانظر أيضا: عيون الأخبار. لابن قتيبة. 188/2.

([10]) يأبروا نخلا لغيرهم: أي يحالفوا أعداءهم ليستعينوا بهم عليك. وأصل التأبير والأبر في النخل وهو التلقيح والإصلاح. انظر: كتاب الألفاظ. أقدم معجم في المعاني. ابن السكيت يعقوب بن إسحاق. تحقيق: د.فخر الدين قباوة. مكتبة لبنان. الطبعة الأولى. 1998م.ص7.

([11])الهرم: نبت من الحَمْض مثل الجَهَّلة ممتلئ ماء فأي شيء يمسه فنخضده، وخص النابت منه لأنه أرق وأضعف. (سمط اللآلي المحتوي على اللآلي في شرح أمالي القالي للبكري.المجلد الثاني. ت: عبد العزيز

وتركتنـــا لحمـــاً علَـــى وضـــمٍ لـــو كنـــتَ تَسْـــتبقِي مِـــن اللحـــم

يتحدث الشاعر إلى محبوبته أميمة واصفا حالته شديدة الحزن، نتيجة اعتداء قومه على أخيه وقتلهم له، مما أوقعه في حيرة من أمره شديدة، أيقاتل قومه، ويرميهم بالسهام؟! فإذا فعل ذلك فسيصيبه سهمه في مقتل؛ لأنه لم ينس أنه منهم، فهم قومه وعزوته، وإليهم ينتسب، ولئن عفا عنهم فسيقع في مأزق أشد صعوبة، وهو استهانة أمره بين القبائل الأخرى، وضياع هيبته، ويكون بذلك عُرْضةً للقبائل الأخرى. إذن فما موقف الشاعر إزاء قومه الذين قتلوا أخاه؟ إن الشاعر يعلن موقفه في صراحة وشجاعة مجردا من نفسه ذاتا ينهاها عن معاشرة قوم أعلن الانسلاخ عنهم وبدأهم بالسب والشتم، بل يعلن أنه لايأمنهم بعد أن أساء معاملتهم.

وجملة القول في ذلك، أن الشعر الجاهلي في علاقة الشاعر بقبيلته لم يكن مطردا، بل تنوعت الأصوات المنادية بهجر القبيلة، وإعلان العصيان عليها. وشعر المنصفات وقف إزاء القبيلة موقفا وسطا؛ فلم يذم القبيلة، ولم يمدحها مدحا مطلقا، واتخذ من العدل والإنصاف معيارا للحكم والقياس بين الشعراء. فلننظر إلى قول عبد الشارق بن عبد العزى[12](الوافر):

شَـــدَدْنا شَـــدَّةً فقَتَلْـــتُ مِـــنْهُمْ ثَلاثَـــةَ فِتْيَـــةٍ وقَتَلْـــتُ قَينـــا

وشَـــدُّوا شَـــدَّةً أخْـــرَى فَجَـــرُّوا بأرْجُـــلِ مِـــثْلِهِمْ ورَمَـــواْ جَوَينـــا

فـــآبُوا بالرِّمَـــاحِ مُكَسَّـــراتٍ وأبْنَـــا بالسُّـــيوفِ قَـــدِ انْحَنَينـــا

وبـــاتُوا بالصَّـــعِيدِ لهُـــمْ أحَـــاحٌ وَلَـــو خَفّـــتْ لَنَـــا الكَلْمَـــى سَـــرَينا[13]

فالشاعر لم يعظم من شأن قبيلته، إلا بمقدار ما عظم من شأن القبيلة الأخرى، وساوى بين القبيلتين في كل شيء، ولم تمل كفة فريق على حساب الآخر، ومثل هذه النظرة المنصفة كانت المنطلق الذي انطلق منه الشعراء المنصفون، وذلك بأن نظروا بعين الإنصاف إلى الفريقين، فلهم مثل ما عليهم، فالمساواة بين القبيلتين في الضرب والطعن، وتكافؤ الفريقين في عدد القتلى، والجرحى، كان موقفا جليا في شعرهم، ويؤكد هذا المعنى شاعر آخر من شعراء المنصفات هو المُفَضّل النُّكْرِيّ الذي يقول[14]: (الوافر)

بكَـــلِ قَـــرارةٍ وبِكُـــلِّ رِيـــعٍ بنَـــانُ فتـــىً وجُمجُمـــةَ فَليـــقُ[15]

وكـــمْ مِـــنْ سَـــيدٍ منَـــا وَمِـــنْهُمْ بـــذِي الطَّرْفـــاءِ مَنطِقُـــهُ شَـــهيقُ[16]

بكُـــلِّ مَجالـــةٍ غـــادَرْتُ حِزقـــاً مِـــنْ الفِتيـــانِ مَبسِـــمُهُ رَقيـــقُ[17]

ويمكن أن ننظر في شعر المنصفات نظرة واعية ترينا إلى أي مدى استطاع الشاعر المنصف أن يكون عادلا في توزيع أفكاره وآرائه بالتساوي بين قبيلته والقبيلة الأخرى، على نحو ما يتجلى ذلك عند الشاعر أُمَيَّة بن أبي الصَّلْت [18](الوافر):

الميمني. 585/1)

([12])الأصمعيات. ص204.

([13])الأحاح: العطش، والمشرف على الهلاك يعطش. وقيل: الأحاح شدة الوجد من الغيظ حتى يسمع له من الصدر صوت.(اللسان. مادة: أحح)

([14])انظر الأصمعيات. ص199.

([15])القرارة: المطمئن من الأرض. والريع: المكان المرتفع. والفليق: المفلوقة.

([16]) ذو الطرفاء: موضع.

([17]) الخرق: الكريم المتخرق في الكرم، ومن الفتيان: الظريف في سماحة ونجدة.

([18])ديوان.أمية بن أبي الصلت . ص144.

كَـــــأَنَّ أَكُفَّهُــــــم عَـــــذْبٌ مُلَقَّــــىً وَحُمّــــــــاضٌ بأَيـــــــدي مُعلِنينــــــــا[19]

فَجـــــاؤُوا عَارِضـــــاً بَـــــرِداً وَحينــــــاً كَمِثـــــلِ السَـــــيلِ يَمنَـــــعُ وَارِدينــــــا

وَشَــــيبُ الــــرأسِ أَهــــوَنُ مِــــن لِقـــاهُم إِذا هَـــــــزّوا القَنــــــا مُتَقابِلينــــــــا

كــــــأَنّ رِمـــــــاحَهُم سَـــــيلٌ مُطِــــلٌّ وأمســــــــاكٌ بَأَيـــــــدي مُورِدينــــــا[20]

فَلَمّـــــا لَــــم تَـــــدع قَوســـــاً وَنــــبلاً مَشَـــينا النِصـــفَ ثُـــم مَشَـــوا إِلينـــــا

فَـــــــذادُونا بِبِـــــــيضٍ مُرهَفـــــــاتٍ وَذُدنـــــــاهُم بِهــــــا حَتّــــــى اِســــــتَقَينا

ومن ناحية أخرى، فإن التوجه إلى شعر المنصفات في العصر الجاهلي لم يكن توجها عاما بل كان توجها فرديا، فالشاعر كان أحيانا يضطر إليه اضطرارا عندما يقع تحت ظرف معين، بدليل أن الشاعر عبد الشارق بن عبد العُزّى والمُفَضّل النُّكْرِيّ وهما صاحبا منصفتين كبيرتين لم أجد لهما شعرا غير هاتين المنصفتين، أما خِدَاشُ بن زُهَير والعَبَّاس بن مِرْدَاس فلهما شعر في غير الإنصاف كثير، كما أن لدُرَيد بن الصِّمَّة ديوان شعر كبير وله من المنصفات عدد أبيات قليلة جدا إذا ما قورن بشعره إجمالا. ولكن لكثرة من تناول هذا الشعر في العصر الجاهلي فقد غدا ظاهرة يجدر الوقوف أمامها، وبيان ما فيها من سمات وخصائص مغايرة أحيانا لنمطية إيقاع الشعر العربي من حيث لقاء العدو وتصوير المعركة، إذ إن الغالب في هذا التصوير أن يكون مبالغا فيه أحيانا. يبقى أن ندلل على ما قلناه بشأن التوجه الفردي في شعر المنصفات، يقول دُرَيدُ بنُ الصِّمَّة ستة أبيات وردت بديوانه(الكامل):

مــــا إن رأيــــتُ ولا سَـــمِعتُ بمثلــــه حــــامِي الظَّعينـــة فارســـاً لـــم يُقتـــل

أردَى فــــوارسَ لــــم يكونــــوا نُهْــــزةً ثـــم استـــمرّ كأنـــه لـــم يَفْعـــل

مُـــــتهلِّلاً تَبــــدو أَسِـــــرَّة وجهـــــه مثـــل الْحســـام جَلَتْـــه كـــفُّ الصَـــيقل

يُزْجِـــي ظَعينَتـــه ويَسْـــحب رُمْحـــه مُتوجهـــاً يمنَـــاه نحـــو المَنـــزل

وتَـــرى الفـــوارسَ مـــن مَهابـــة رُمحـــه مثـــلَ البُغـــاث خَشِـــين وَقْـــع الأجْـــدل

يـــا ليـــتَ شـــعْري مَـــن أبـــوه وأمّـــه يـــا صـــاح مَـــن يَـــكُ مثلَـــه لا يجهـــل[21]

والأبيات كلها مدح في خصمه، وإعجاب بشجاعته، ولها قصة طريفة[22] وردت في ديوان دريد. إذن فالقصة والأبيات ذات موقف معين، ألزمت دريدا بالإنصاف، وذكر مناقب عدوه من إظهار شجاعته، وشدة بأسه. لكن السؤال هنا هل شعر دريد كله فيه إنصاف كما هو موجود في الأبيات السابقة؟ لا نستطيع أن نجزم بأن شعره عار من الإنصاف، فقوله في قصيدة رثى بها أخاه(الطويل):

فَمَـــا رِمْـــتُ حَتّـــى خَرّقتنـــي رِمَـــاحُهُمْ وَغَـــودِرْتُ أَكْبُـــو فـــي القَنَـــا المُتَقَصِّـــدِ[23]

ينم عن شاعر منصف لم يترك لخصمه ميزة إلا ذكرها، وألقى عليها الضوء، كاشفا عن ميزاته.

---

(19)حماض: نبت شديد الحموضة.

(20)الأمساك: جمع مَسَك وهو الأسورة والخلاخيل.

(21)ديوان دريد بن الصمة. تحقيق: د. عمر عبد الرسول. دار المعارف. القاهرة. سننئة 1985م. ص151

(22)السابق، نفس الصفحة.

(23)ديوان دريد بن الصمة. 57.

وله في نفس القصيدة التي رثى بها أخاه معنى يغاير الإنصاف وهو قوله[24](الطويل):

وَمَـــا أَنَـــا إلا مِـــنْ غَزِيّـــةَ إنْ غَـــوَتْ غويـــتُ وإنْ ترْشُـــدْ غَزِيـــةَ أرشـــدِ

والمعنى أنه تابع لقبيلته في حالتي الهداية والضلال فإن بغتْ بغى معها، وإن اهتدتْ اهتدى معها أيضا، فأمره راجع إلى قبيلته في العدل والظلم، في الحق والباطل. ومثل هذا المعنى كثير في القصيدة الجاهلية ولدى معظم شعرائها.

إذن، لم يكن الدافع إلى الإنصاف دافعا جماعيا نابعا من توجه جماعي؛ بل اتسم الإنصاف في الجاهلية بالتوجه الفردي، وبناء على الموقف الذي يوضع فيه الشاعر. والأمثلة على ذلك كثيرة لا تحتاج إلى بيان، حتى مع عنترة بن شداد الذي عرف عنه الفتك وشدة البطش بأعدائه؛ فعنترة له أبيات تعد نموذجا للإنصاف، فقد نسب إلى خصمه صفات وخصالا تماثل ما نسبه إلى قبيلته من عبس، ولم يترك شيمة من شيم الرجال الصناديد إلا ونسبها لخصمه، فقال[25](الطويل):

فلـــم أرَ حيّـــاً صَـــابَرُوا مِثْـــلَ صَـــبْرِنَا وَلا كَـــافَحُوا مِثْـــلَ الـــذينَ نُكَـــافِحُ

إذا شِـــئتُ لاقـــاني كَمـــيٌّ مُـــدَجَّجٌ عَلـــى أعـــوَجِيّ بِالطِعـــانِ مُســـامِحُ

وأقبـــل صـــفّانا وفـــي عارضـــيهما جنـــيّ تُـــرى فيـــه البـــروق اللـــوامحُ

إذا أَقْبَلُـــوا فـــي السَّـــابِغاتِ حَسِـــبتَهُم سُـــيولاً إذَا جَاشَـــتْ بِهِـــنَّ الأبَـــاطحُ

كـــأنَّ القَنَـــا الخطَـــيَّ فِينَـــا وفـــيهمُ شَـــوَاطنُ بئـــرٍ هَيَّجَتْهَـــا المَـــوَاتِحُ

وثَـــمَّ فَرَقْنَـــا بالرّمَـــاحِ ولـــمْ يَكُـــنْ هُنَالِـــكَ فـــي جَمْـــعِ الفَـــرِيقَينِ رَامِـــحُ

وَدُرْنَـــا كَمَـــا دَارَتْ عَلَـــى قُطْبِهَـــا الرَّحَـــى وَدَارَتْ عَلَـــى هَـــام الرِّجَـــالِ الصَّـــفَائحُ

([24])السابق. نفس الصفحة.

([25])ديوان عنترة. ص22.

ثانيا: عصر صدر الإسلام

أما صورة العدو في الشعر الإسلامي فإنها لم تبعد كثيرا عن صفات العربي الجاهلي، فانطلق الشعراء في عصر صدر الإسلام والعصور التي تلته من مفهوم الإسلام لإنصاف الخصم؛ فضلا عن إرثه السابق في العصر الجاهلي، فقد كان الإسلام مصدرا مهما لهؤلاء الشعراء. وموضوع حقوق الخصم أثناء الخصومة تلخصه الآية القرآنية الكريمة (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لله شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَومٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) [26] وهذه الآية الكريمة توضح أن منهج القرآن الكريم هو منهج العدل والإنصاف حتى مع أعدائه من الذين كفروا بنعمة الله، ويدعو إلى الإنصاف والعدل لأن هذا المنهج هو أقرب للتقوى، وأكثر خشية الله.

والمتأمل لأسلوب القرآن الكريم مع أعدائه غير المسلمين يتضح له في جلاء أن القرآن الكريم احترم خصومه، ولم يبخس حقوقهم، وأظهر كل ميزة كانت لهم، ولم يصغر من فضيلة فيهم، "فما من عدو فردا أو جماعة تحدث عنه القرآن، وله ميزة أو موقف حسن إلا أبرزه القرآن واضحا، كما تحدث عن ملكة سبأ والملأ من قومها، وبعد أن أكد ضلالهم الديني في عبادتهم الشمس، إذا هو يبرز مزايا هذه الملكة في سياستها والتزامها الشورى في ذلك الماضي السحيق، ثم سداد رأيها وحسن استنتاجها من أحداث التاريخ، وكذلك حسن موقف الملأ من قومها واستطاعتهم الجمع بين الحرص على مصلحة شعبهم والطاعة لولية أمرهم"[27]والأمثلة على إنصاف الخصم في أثناء الخصومة في القرآن الكريم كثيرة كما وضحها في جلاء صاحب كتاب "إنصاف الخصم في القرآن".

وكانت حياته-صلى الله عليه وسلم-مثالا للإنصاف في كل جوانب الحياة، وليست في الحروب فقط،، بل شمل إنصافه مع الله ثم مع زوجاته وأصحابه وأهل بيته، ومع المسلمين جميعا وغير المسلمين أيضا، فقد لقي رسولَ الله-صلى الله عليه وسلم-نفرٌ من المسلمين يهنئونه بما فتح الله عليه في بدر فقال لهم سلمة بن سلامة: ما الذي تهنئوننا به ؟ فوالله إن لقينا إلا عجائز صلعا كالبدن المعقلة، فنحرناها، فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال: أي ابن أخي. أولئك الملأ. قال ابن هشام الملأ الأشراف والرؤساء[28]. فلم تمنع الخصومةُ رسولَ-الله صلى الله عليه وسلم-من الاعتراف بحقهم في السيادة والشرف.

وأما عن الشعر المنصف في عصر صدر الإسلام فقد سكتت كتب الأدب القديم عن معظم هذا الشعر، وانفردت به كتب التاريخ، والمغازي، والسير، والفتوح، حيث تكشف حروب المسلمين مع خصومهم عن صفة جديرة بالاحترام والتقدير، وهذه الصفة هي إنصاف الخصوم وإظهار كل ميزة كانوا يمتازون بها، ولم تبخل قرائحهم بطمس معالم هذه الصفة النبيلة، استنادا إلى فهمهم لكتاب الله العظيم، وسنة نبيهم الكريم، وتتجلى هذه الصفة في شعر الحروب التي خاضها المسلمون ضد الكفار، أو الحروب التي خاضها المسلمون ضد الفرس والروم في شعر الفتوح الإسلامية، ولا أود أن أسترسل في أسباب هذه الحروب ودوافعها، وإنما يهمنا ملامح الإنصاف في شعر المسلمين، وغير المسلمين من شعراء هذه الحقبة الزمنية. وأثر ذلك على سلوكهم. ففي غزوة بدر يقول حسَّانُ بن ثابت-رضي الله عنه-(الوافر)

غـــــداةَ كــــــأنَّ جَمْعَهُــــــمُ حِــــــرَاءٌ   بَـــــــدَتْ أَرْكَانُــــــهُ جُــــــنحَ الغُــــرُوبِ

فلاقَيْنَـــــــــــاهمُ مِنَّـــــــــا بجَمْــــــــعٍ   كأسْـــــدِ الغَـــــابِ مُـــــرْدَانٍ وَشِـــــيبِ

فَغَادَرْنَـــــا أَبَـــــا جَهْـــــلٍ صَـــــرِيعا   وَعُتْبَـــــةَ قَـــــدْ تَرَكْنَـــــا بـــــالجبوب

---

(26)المائدة. الآية رقم 8 .

(27)إنصاف الخصم في القرآن، وأثره الإعلامي. د. عبد الحكيم حفني. الهيئة المصرية العامة للكتاب. 1992م. ص9.

(28)السيرة النبوية لابن هشام. 644.

وشـــيبةَ قـــدْ تركنـــا فـــي رجـــالٍ ذَوِي حســـبٍ إذَا نُســـبوا حَسِـــيبِ[29]

وفي هذا الشعر نجد حسانا يصف أعداء المسلمين بأن أعدادهم كانت كبيرة، وكانوا مُعَلَّمِين غير متخفيين، وهذا ديدنهم جميعا في القتال، فلم يسلبهم حقهم من إظهار الشجاعة وحسن التخطيط للقتال، كما مدح أصلهم وشرف نسبهم، وسيادتهم على قرنائهم، وأنهم كانوا أندادا في القتال.
وفي غزوة أحد يتجلى لنا موقف عبد الله بن الزِّبَعْرَى، وقد كان من أشد الشعراء عداوة للمسلمين، وكان يناقض حسان، ويرد على المسلمين فخرهم، ويشمت بقتلاهم، ويبكي المشركين، ومع ذلك فقد أنصف المسلمين عندما قال(الرمل):

كَـــمْ قَتَلْنَـــا مِـــنْ كَـــرِيمٍ سَـــيِّدٍ مَاجِـــدِ الجَـــدَّينِ مِقْـــدَامٍ بَطَـــلْ

صَـــادِقِ النَّجْـــدَةِ قَـــرْمٍ بَـــارِعٍ غَيـــرِ مُلْتَـــاثٍ لَـــدَى وَقْـــعِ الأسَـــلْ[30]

فَقَتَلْنَـــا الضِّـــعْفَ مِـــنْ أشْـــرَافِهِمْ وَعَـــدَلْنَا مَيـــلَ بَـــدْرٍ فَاعْتَـــدَلْ[31]

فأجابه حسان بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه، إنصافا بإنصاف فقال[32](الرمل):

ذَهَبَـــتْ يَـــابنَ الزِّبَعْـــرَي وَقْعَـــةٌ كَـــانَ مِنَّـــا الفَضْـــلُ فِيهَـــا لَـــو عَـــدَلْ

وَلَقَـــدْ نِلْـــتُمْ وَنِلْنَـــا مِـــنْكُم وَكَـــذَاكَ الحَـــرْبُ أحْيَانـــاً دُوَلْ

وفي إجابة حسان-اقتداء بالمنهج القرآني في إنصاف الخصم – حيث يحرص على تحري الصدق في القول عندما يقول له إنكم نلتم منا، ونحن نلنا منكم أيضا، وأن الأيام دول بين الناس، وكذلك الحرب سجال، يوم لك ويوم عليك. ولم يقل حسان إننا ننتصر عليكم دائما، وأنتم قوم ليس لكم في الحرب. وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على إدراك الشاعر ووعيه بمفهوم الإنصاف.
وثمة موقف آخر يجسده شاعر من شعراء الكفار هو حِماس بن قيس الكناني، وهو أحد بني بكر بن كنانة، حيث كان يعد سلاحا ويصلحه قبل قدوم سيدنا رسول الله –صلى الله عله وسلم – مكة يوم الفتح فقالت له امرأته: لماذا تعد هذه ؟ فقال: لمحمد وأصحابه، وإني لأرجو أن أُخْدمك بعضهم: ثم أنشأ يقول(الرجز):

إنْ يُقْبِلُـــوا اليَـــومَ فَمَـــا بِـــي عِلّـــهْ هَـــذَا سِـــلاحٌ كَامِـــلٌ وَألّـــهْ

وَذُو غـــــــرارَين سَـــــــرِيعُ السَّـــــــلهْ[33]

ولقيهم خالد بن الوليد وقتل من المشركين أناسا، ثم انهزموا؛ فخرج حِماس بن قيس منهزما حتى دخل بيته، ثم قال لامرأته أغلقي عليّ بابي قالت: فأين ما كنت تقول؟ فقال(الرجز):

إنّـــكِ لَـــو شَـــاهَدْتِ يَـــومَ الخَنْدَمَـــهْ إذْ فَـــرَّ صَـــفْوانُ وَفَـــرَّ عِكْرِمَـــهْ[34]

وَأبُـــو يَزِيـــدَ قَـــائمٌ كَالمُوتمـــهْ وَلَحِقَتْنَـــا بِالسّـــيوفِ المُسْـــلِمَهْ[35]

([29])البيت لحسان بن ثابت.السيرة النبوية لابن هشام. 640/1.
([30]) النجدة: القوة والشجاعة. القرم الفحل الكريم. البارع : المبرز على غيره. الملتاث: الضعيف. الأسل: الرماح.
([31]) السيرة النبوية . لابن هشام 2/ 136.
([32]) السابق. ص 137.
([33]) الألة: الحربة لها سنان طويل. والغرار: الحد.
([34]) الخندمة: جبل دخل منه النبي صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة.
([35]) الموتمة: المرأة مات زوجها، وترك لها أيتاما.

يَفْلِقْـــنَ كُـــلَّ سَـــاعِدٍ وَجُمْجُمَـــهْ ضَـــرْباً فَـــلا يُسْـــمعُ إلا غَمْغَمَـــهْ

لَهُـــم نَهِيـــتٌ خَلْفَنَـــا وَهَمْهَمَـــهْ لَـــمْ تَنْطَقِـــي فـــي اللـــومِ أَدْنَـــى كَلِمَـــهْ[36]

والشاعر في هذه الأبيات يقر بهزيمته، ويتعرض للوم زوجته على ما بدر منها، وفي الأبيات يذكر أسماء المنهزمين وهم: صفوان بن أمية، وعكرمة بن أبي جهل، وسهيل بن عمرو. وتتجلى ملامح الإنصاف في الآتي:

- **إقرار الشاعر بفرارهم منهزمين أمام جيش المسلمين.**
- **تشبيه الفارين المنهزمين بالنساء اللائي مات عنهن أزواجهن وخلفن أبناء يتامى. على ما في ذلك من عار.**
- **تصوير جيد لسلاح المنتصر من سيوف ورماح وغيرهما، وأن هذه السيوف حادة قوية تقطع الرقاب، وتمزق الأبدان.**
- **تصوير حال المحاربين من المسلمين بأن لهم جيشا قويا، وقد تمرسوا على القتال، فهم من النظام والترتيب ما يجعلك تشعر بشدة بأسهم.**
- **تظهر في الأبيات صورة سمعية، نابعة من استخدام ألفاظ ذات دلالات سمعية صريحة يستمدها الشاعر من اللغة مثل(يسمع-غمغمة-نهيت-همهمة-تنطقي) وذلك لينتقل إلى المتلقي عن طريق السمع.**

وفي وقعة الجمل يقول عبد الله بن عمرو بن العاص[37](الطويل):

فَلَـــو شَـــهدتْ جُمْـــلٌ مُقـــامي ومَشْـــهدي بصـــفِّينَ يَومـــاً شَـــابَ مِنْهَـــا الـــذَّوَائبُ

عَشِـــيّةَ جَـــا أَهْـــلُ العِـــراقِ كَـــأنَّهُم سَـــحابُ رَبِيـــعٍ زَعْزَعَتْهـــا الجَنائـــبُ[38]

وَجِئْنَـــاهُم نَـــرْدِي كَـــأنّ صُـــفُوفَنَا مِـــنَ البَحْـــرِ مَـــدٌّ مَوجُـــهُ مُتَرَاكِـــبُ

إذا قلـــتُ قَـــدْ وَلّـــوا سِـــرَاعاً بَـــدَتْ لَنَـــا كَتَائـــبُ مِـــنهم وَأرجَحَنّـــتْ كَتائـــبُ[39]

فَـــدَارَتْ رَحَانَـــا واســـتدارتْ رَحَـــاهُم ســـراة النّهـــارِ مـــا تَـــوالى المناكـــبُ

وقـــالوا لنـــا إنـــا نَـــرى أنْ تبـــايعوا عليـــاً فقُلنـــا بـــل نَـــرى أن نُضـــارب

والشاعر في هذه الأبيات يشهد لأعدائه شهادة منصفة؛ فهو يرى أنه كان في معركة تشيب من هولها الرؤوس، وتقشعر لشدتها الأبدان، وذلك عندما أقبلت جيوش علي بن أبي طالب من العراق كأنهم سحاب ربيع حركتها الرياح، منذرة بهطول السيول، وهو هنا يرمي إلى كثرة عدد الجيش، وشدة هوله، وبأسه، وقوته، واستعداده للقتال. ولنحاول التدقيق في هذا التشبيه الذي شبه به أعداءه، نلاحظ أنه تشبيه قائم على الإنصاف، فهو يرى أن أعداءه في إقبالهم على القتال كأنهم يحملون معهم بشائر الخير من العراق إلى أرض المعركة.

ولم يهمل الشاعر نصيب جيشه أيضا من القوة وشدة البأس، فهم أيضا أقبلوا على القتال مستعدين للقتال، وقد رتبوا صفوفهم، ونظموها بحيث تقبل على الأعداء في تتابع واستمرار كأنهم استمدوا من موج البحر قوتهم وتحمسهم، فكلا الفريقين كان متعطشا للقتال، وقد استعد جيدا، ولا ينقص أيا من الفريقين إلا النصر. ثم يعود لوصف جيش أعدائه، وكأنه كان يجدل أبياته، بيتا له، وآخر لأعدائه،

([36]) النهيت: الزئير. انظر القصة والأبيات في: العقد الفريد. 131/1. وفي اللسان مادة خندم. والسيرة النبوية لابن هشام.407/4.

([37]) العقد الفريد. 134/6. ذكرها صاحب كتاب المنصفات ضمن اختياره للمنصفات في خاتمة كتابه. ص 121

([38]) الجنائب: جمع جنوب وهي ريح تهب من الجنوب.

([39]) ارجحنّ: اتسع وانبسط.

فكلما نظر إلى جيوشهم وجدها لا تنتهي، فإذا انتهى من كتيبة برزت له أخرى، في نفس قوة الأولى وأشد، حتى التحم الجيشان، وكل فريق منهما ثابت على مبدئه، لا يتزعزع، ولا يتقهقر.

وفي شعر الفتوح الإسلامية تتجلى نماذج كثيرة لصورة الأعداء لدى الشعراء؛ فقد" سقطت إلى أشعارهم خيوط كثيرة من مثالية الإسلام وروحانيته[40]" وانطلق الشعر على ألسنة الفاتحين مع أول ضربة سيف، وقد أحاط بالمعارك والأحداث إحاطة، بحيث يمكن أن يعد وثيقة تاريخية لها خطرها، وهو من حيث تصويره لحياة المجاهدين ومشاعرهم، وتصويره لمشاعر المقاومين أيضا يمكن أن يعد وثيقة وجدانية رائعة لهذا الحدث الفذ في تاريخ الإسلام والمسلمين[41].

ففي يوم أُلَّيسٍ[42] يصور الأَسْوَدُ بنُ قُطْبَةَ التميمي هول المعركة، وبسالة المقاومين من الفرس، وقد كانت هذه المعركة شديدة طاحنة، أبلى المسلمون فيها بلاء حسنا، حتى صلى خالد بن الوليد صلاة الخوف، فكان النصر للمسلمين بعد عناء وصبر شديدين، وذكر المؤرخون أن خالدا لما فتحها صلى صلاة الفتح ثماني ركعات لا يسلم فيهن، وقال قولته المشهورة: لقد قاتلت يوم مؤتة فانقطع في يدي تسعة أسياف، وما لقيت كقوم لقيتهم من أهل فارس، وما لقيت من أهل فارس قوما كأهل أليس[43](الوافر):

لَقينـــا يَــــومَ أُلّــــيسٍ وَأَمغـــى	**وَيَـــومَ المَقْـــرِ آســـادَ النَهـــارِ**
فَلَـــم أَرَ مِثْلَهـــا فَضِـــلاتِ حَـــربٍ	**أَشُـــدّ عَلـــى الجَحاجِحَـــةِ الكِبـــارِ[44]**

ويصور عاصم بن عمرو-أخو القعقاع بن عمرو-ثبات المقاومين من الفرس يوم المقر[45]، ويسمي الفرس بني الأحرار، وأنهم فرسان صابرون، ثابتون في القتال، لا يفرون ولا يجبنون(الوافر):

أَلَـــم تَرَنـــا غَـــداةَ المَقْـــرِ فننـــا	**بِأَنهـــارٍ وَســـاكِنَها جِهـــارا**
قَتَلنـــاهُمُ بِهـــا ثُـــمَّ اِنكَفَأنـــا	**إِلـــى يَـــمِّ الفُـــراتِ بِمـــا اِســـتَجارا**
لَقينـــا مِـــن بَنـــي الأَحـــرارِ فيهـــا	**فَـــوارِسَ مـــا يُريـــدونَ الفِـــرارا[46]**
نكـــرُّ الخيـــل حابســـةَ علـــيهم	**تـــرى فينـــا مـــن الطعـــن ازورارا**
ومـــا زلنـــا بهـــم حتـــى أتينـــا	**علـــى أخـــراهُمُ زمنـــا مُعـــارا**

ويقول كَعْبُ الأَشْقَرِيّ[47]واصفا معركة مع أعدائه، واصفا إياهم أوصافا لا تخلو من الإنصاف، مظهرا قوتهم وشدة بأسهم في القتال، ومصوراً إيمان الجندي المسلم، وما يتحلى به من الصبر والثبات على الجهاد[48]: (البسيط)

([40])التطور والتجديد في الشعر الأموي. د. شوقي ضيف. دار المعارف بالقاهرة. الطبعة الثامنة. 1987م. ص19.

([41]) انظر: شعر الفتوح الإسلامية في صدر الإسلام. النعمان عبد المتعال القاضي. الدار القومية للطباعة والنشر. 1965م. ص 127.(بتصرف)

([42]) أليس وأمغى: موضعان بالعراق كان فيهما وقعة بين المسلمين، وأميرهم خالد بن الوليد، وبين الفرس، فلما ملكها المسلمون أمر خالد بهدمها. انظر معجم البلدان. 254/1.

([43]) تاريخ الرسل والملوك. الطبري. 367/3.

([44]) معجم البلدان. ياقوت الحموي.دار صادر. بيروت.1397هـ 1977م. 254/1.

([45]) المقر: موضع بالعراق، كانت فيه وقعة للمسلمين بقيادة خالد بن الوليد، في أيام أبي بكر رضي الله عنه. انظر: معجم البلدان. 174/5. وانظر الأبيات (1-3)ص175والبيتين(4-5) من كتاب: شعراء إسلاميون. د. نوري حمودي القيسي. مكتبة النهضة العربية. ط2. 1405هـ 1984م. ص61.

([46]) بنو الأحرار: الفرس .

([47])هو كعب بن معدان الأشقري، والأشاقر: قبيلة من الأزد، شاعر فارس خطيب معدود من الشجعان، من

والتـــــركُ تَعْلَــــــمُ إذْ لاقَـــــى جُمُـــــوعَهُمُ أنْ قـــــد لقـــوه شــــهابا يَفْـــرِجُ الظّلَمَـــا[49]

بفتيـــــةٍ كأسُــــودِ الغَـــابِ لــــمْ يجِـــدُوا غيـــرَ التَّأسِّــــي وغيـــرَ الصَّـــبْرِ مُعْتَصَـــمَا

تـــرى شَـــرائجَ تَغشـــى القَـــومَ مـــن علـــقٍ وَمَـــــا أرَى نَبـــــوةً مــــنهمْ ولا كَزَمَـــــا[50]

وتحـــــتَهُمْ قـــــرّحٌ يــــركبْنَ مـــــا ركِبُـــوا مـــنَ الكَريهـــةِ حتَّـــى يَنْـــتعلنَ دَمَـــا[51]

فـــي حـــازَّة المَـــوتِ حتَّـــى جَـــنَّ لَـــيلُهُمُ كِـــلا الفَـــرِيقين مَـــا وَلّـــى وَلا انْهَزَمَـــا[52]

وفي القادسية التي انتصر فيها المسلمون انتصارا كبيرا، لقي المسلمون خلالها أهوالا وشدائد عظيمة، ولم تكن القادسية معركة واحدة، بل كانت عدة معارك متصلة، انتصر الفرس في واحدة منها، ففي قس الناطف حدثت واقعة الجسر، تلك الهزيمة الوحيدة التي لحقت بالمسلمين في جميع فتوحاتهم، إذ أخذتهم السيوف والغرق والفرار من كل جانب، وقد ترامت أنباء الهزيمة في بلاد العرب، ورن صداها في كل قلب[53]، يقول حسان بن ثابت لما بلغته الكارثة بالمدينة(الطويل):

لَقَـــد عَظُمَـــت فينـــا الرَزِيَّـــةَ إنّنـــا جِـــلادٌ عَلـــى رَيـــبِ الحَـــوادِثِ وَالـــدَهرِ

عَلــى الجِســرِ يَــومَ الجِسـرِ لَهفـي عَلَـيهِم فَيـا لَهـفَ نَفسـي لِلمُصـابِ عَلـى الجِسـرِ؟[54]

وفي هذه المعركة يصف أبو مِحْجَن الثَّقَفِيّ[55] القتال وشدته، ويرثي نفرا من رجال المسلمين الذين استشهدوا تحت أرجل الفيلة، فيقول[56](الطويل):

ومـــا رِمـــتُ حتـــى خرَّقـــوا برِمـــاحِهم ثيـــابي وجـــادت بالـــدّماءِ الأباجـــلُ[57]

وحتـــــى رأيـــــتُ مُهرَتـــــي مُزوَئِـــــرّةً لـــدى الفيـــلِ يَـــدمَى نَحرُهـــا والشـــواكلُ[58]

أصحاب المهلب والمذكورين في حروبه للأزارقة، الوافي بالوفيات. 260/24.

(48) تاريخ الرسل والملوك. 352/6.

(49)الترك: جماعة من الأتراك يعيشون على حدود الجزيرة العربية في صورة جماعات وقطاع طرق.

(50) الشرائج جمع شريحة وهي القوس المنشقة. كزما: يقال كزم الرجل؛ أي هاب التقدم على الشيء ما كان.

(51) قرح:فرس أغر.

(52) حازة: الشدة.

(53) انظر: شعر الفتوح الإسلامية. ص130. وانظر أيضا: معارك العرب في الشرق والغرب. بطرس البساني. دار مارون عبود.لبنان. 1987م. ص 13.

(54) ديوان حسان بن ثابت. وليد عرفات. ص242.

(55)هو أبو محجن عمرو بن حبيبي بن عمرو بن عمير بن عقدة بن غيرة الثقفي، وقيل: عبد الله بن حبيب ، وقيل: اسمه أبو محجن، وكنيته أبو عبيد. والغالب انه اشتهر بكنيته فغلبت اسمه، وقامت مقام العلم عليه أبو محجن الثقفي. حياته وشعره. د. محمد مختار جمعة. مقال منشور في: حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية. جامعة الأزهر. العدد الخامس عشر. 1417هـ 1997م. ص15. وانظر أيضا: ديوانه.شرح: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل. مطبعة الأزهار البارونية. مصر. ص2 .

(56) ياقوت الحموي. 248/1.

(57) ما رمت: ما برحت. الأبجل: عرق في باطن الذراع وإنما هما أبجلان في ذراعي الإنسان فعبر عنهما بالجمع : الأباجل وكذلك الشواكل معناها الخواصر فذكر أن مهرته نافرة من الفيل يدمى نحرها وخاصرتاها من الطعن والضرب فاستخدم الجمع (الشواكل) بدلا من المثنى(الشاكلتين) لأن التسمية جمع.انظر ديوان الثقفي. ص14.

(58) المزوئرة: النافرة خوفا من الفيل.

ومـــا رُحـــتُ حتَّـــى كُنـــتُ آخـــرَ رائـــحٍ وَصُـــرِّعَ حـــولي الصـــالحون الأماثِـــلُ

ولأبي مِحْجَن الثَّقَفِيّ أيضا أبيات يصف فيها عدة السلاح في المعركة، وشدة بأس المقاتلين والمقاومين من الأعداء (الفرس)، وفيها أيضا يقر الشاعر بشدة بأس أعدائه، وقوتهم، وعدم فرارهم من المعركة، وأن كلا الفريقين متشبث بموضعه لا يكاد يفارقه مهما كانت الأسباب، فهما معا ثابتان في الميدان ولم يتوخيا الهرب. فيقول (المنسرح):

لمـــــا رأينـــــا خـــــيلاً مُحَجَّلَـــــةً وَقَـــومَ بَغْـــيٍ فـــي جَحْفَـــلٍ لجـــبِ

طِرْنَـــا إلـــيهم بِكُـــلِّ سَـــلهبةٍ وَكُـــلِّ صَـــافي الأديـــمِ كالـــذَّهَب

لمَّـــا الْتقينـــا مَـــاتَ الكَـــلامُ وَدَا رَ المَـــوتُ دَورَ الرَّحَـــى عَلَـــى القُطَـــبِ

فَكُنْنَـــا يَسْـــتَكِيصُ صَـــاحِبَهُ عَـــنْ نَفْسِـــهِ وَالنَّفُـــوسُ فـــي كُـــرَبِ[59]

إنْ حَمَلْـــوا لـــم نَـــرِمْ مَوَاضِـــعَنَا وَإنْ حَمَلْنَـــا جَثَّـــوا عَلَـــى الرُّكَـــبِ[60]

وقال بِشْرُ بن ربيعة الجَثْعَميّ[61] مصورا ما لاقوه من شدة في قتالهم مع الأعداء في معركة القادسية، وكان قد أرسل بهذه الأبيات إلى عمر بن الخطاب فقال (الطويل):

تَـــذَكَّرْ هَـــدَاكَ اللهُ وقْـــعَ سُـــيُوفِنَا بِبـــابِ قـــديس والمكـــرُّ ضـــريرُ

عشـــيةَ ودَّ القـــومُ لـــو أنّ بعضـــهمْ يُعـــارُ جنـــاحَي طـــائرٍ فيطيـــرُ

إذَا مـــا فَرَغْنَـــا مِـــنْ قِـــرَاعِ كتيبـــةٍ دَلفْنَـــا لأُخْـــرَى كالجبـــالِ تسـيرُ

تـــرَى القـــومَ فيهـــا واجمـــين كـــأنهمْ جمـــالٌ بأحمـــالِ لهـــنَّ زفيـــرُ

وكان أبو العيال الهُذَلِيّ[62] حُصِرَ ببلاد الروم في إحدى الغزوات؛ فأصيب فيها جماعة من المسلمين، وكانت شوكة الروم شديدة قوية، قُتل فيها نفرٌ من المسلمين، ثم فتح الله عليهم. قُتل في هذه الغزوة عبد العزيز بن زرارة الكلابي، وعبد بن زهرة الهُذَلِيّ وخلق كثير من المسلمين، وقد أرسلها الشاعر إلى معاوية بن أبي سفيان في صورة رسالة منظومة، ولما وصلت القصيدة إلى معاوية قرأها على الناس، فبكى الناس وبكى معاوية بكاءً شديداً جزعاً لما كتب به الشاعر. يقول فيها(الكامل):

مِـــنْ ابِـــي العِيَـــالِ أَخِـــي هُـــذَيل فَـــاعْلَمُوا قَـــولِي وَلا تَتَجَمْجَمُـــوا مَـــا أَرْسِـــلُ[63]

أَبْلِـــغْ مُعَاوِيَـــةَ بـــنَ صَـــخْرٍ آيـــةً يَهْـــوِي إِلَيـــهِ بِهَـــا البَرِيـــدُ المعْجـــلُ

([59]) يقال كاص يكيص كيصا أي كع وجبن وضعف..

([60])معجم البلدان. ياقوت الحموي.المجلد الخامس. ص383. وانظر الأبيات أيضا في الخزانة. 8/ 413.

([61])هو صاحب الخطّة بالكوفة التي يقال لها جبانة بشر. شاعر مخضرم، وأحد الشعراء الفرسان الذين خاضوا القادسية. انظر ترجمته والأبيات: الوافي بالوفيات. 92/10.

([62])هو ابن أبي عنترة، أحد بني خفاجة بن سعد بن هذيل، كان شاعرا فصيحا مقدما من شعراء هذيل مخضرما، أدرك الجاهلية والإسلام، ثم أسلم فيمن أسلم من هذيل. وعمر إلى خلافة معاوية ديوان الهذليين. طبعة دار الكتب المصرية. الطبعة الثانية. سنة 1995م..2/ 241. وانظر أيضا: الأغاني. للأصفهاني. 197/24.

([63])تتجمجموا: جمجموا بينهم أمرا إذا لم يظهروه للناس وكتموه.

أتّــــا لَقِينَــــا بَعْــــدَكُمْ بِــــدِيَارِنَا مِــنْ جَانِــبِ الأمْــراجِ يَومــاً يُسْــألُ[64]

أمْــراً تَضِــيقُ بــهِ الصُّــدُورُ وَدُونَــهُ مُهَــجُ النُّفُــوسِ وَلَــيسَ عَنْــهُ مَعْــدِلُ

فــي كُــلِّ مُعْتَــرَكٍ تَــرَى مِنّــا فَتَــىً يَهْــوِي كَعَــزْلاءِ المَــزَادةِ يَرْغَــلُ[65]

أوسَــيِّدٌ كَهْــلٌ تَمُــورُ دِمَــاؤهُ أو جَــانِحٌ فــي صَــدْرِ رُمْــحٍ يَسْــعُلُ[66]

وَتَــرَى النِّبَــالَ تَعِيــرُ فــي أقْطَارِنَــا شُمُسَــا كَــأنَّ نِصَــالَهُنَّ السُّــنْبُلُ[67]

وتتجلى في القصيدة ملامح فنية ظاهرة، فالقصيدة كرسالة أرسلها الشاعر للمسئولين من المسلمين وتتجلى فيها ملامح الرسالة: المرسل(أبو العيال الهذلي) –المرسل إليه(أولو الأمر من القادة)-مضمون الرسالة(تبليغ القائد العام للجيش الإسلامي بما دار في معركة عانى فيها المسلمون معاناة شديدة) –ثم الخاتمة.

ونلاحظ في القصيدة جنوح الشاعر إلى وصف المعركة وما يدور فيها وصفا دقيقا، فقد أحدث الأعداء شرخا عميقا في نفوس الناس (أمْراً تَضِيقُ بِهِ الصُّدُورُ) فضيق الصدور أمر يصور الحزن ويجسمه على سبيل الكناية، والفتى الذي يهوي والدماء تسيل منه، والسيد الكهل الذي تمور دماؤه، والرماح التي تتطاير في كل مكان ذات حد فاصل قاطع، كأن نصالهن السنبل، كل هذه الصور مجتمعة تجعلك كأنك واقف وسط ميدان المعركة ترى وترصد جميع الحركات والسكنات وتتفاعل مع الشاعر تفاعلا صادقا.

كما نلاحظ قلة الأساليب الإنشائية مقارنة بالأساليب الخبرية لأن الخبر أبلغ من الإنشاء في هذا الوصف؛ فالخبر أعطى الحدث درامية فعالة وتجسيدا للحدث بشكل لافت.

والقعقاع بن عمرو الفارس الذي يشيد ببلائه في المعركة في شعره، لا يجد غضاضة في الشهادة بقدرة أعدائه، وبلائهم في الدفاع عن أرضهم، فيصور شجاعتهم وحمايتهم لبلادهم فيقول(الطويل):

ولــم أرَ قومــاً مثــل قــوم رأيــتهم علــى وَلَجَــاتِ البــر أحمــى وأنجبــا

وأقتــل للــرُّوَّاس فــي كــل مجمــعٍ إذا صَعْصَــعَ الــدهرُ الجمــوعَ وكبكبــا

فــنحن حبســنا بالزمــام بعــدما أقــاموا لنــا فــي عرصــة الــدار تِرْتُبَـا[68]

قتلنــاهم مــا بــين قلــع مطلــق إلــى القيعــة الغبــراء يومــا مطنبــا[69]

ولم يمنع الإنصافُ الشاعرَ أن يرثي بعض جسده، ففي المعارك الشديدة لابد من قتلى وجرحى، وأشلاء، من،الفريقين، فهذا عبد الله بن سَبْرة الحَرَشِي[70]، قطعت يده في بعض غزواته الروم، فرثاها، ومن خلال هذا الرثاء كان ضروريا أن يتناول الطرف المعادي بما فيه من صفات وملامح القوة التي جعلته يقدر على هذا البطل ويقطع يده، ولكن عزاء الشاعر أنه أطاح برأس عدوه، فكانت يده مقابل رأس

---

(64)يوما يسأل: أي يوما كريها.

(65)يخرج دمه كما يخرج ماء المزادة .أي يدفع بالدم دفعا.

(66)الجانح: المائل في أحد شقيه، أو منكسر فيه الرمح. وصاحب الدم المطعون يشرق بالدم فيسعل.

(67)تعير: تذهب غير قواصد يمنة ويسرة.

(68)الترتب: الأمر الثابت.

(69)البيتان الأولان في معجم البلدان. ياقوت. 383/5. والبيتان الأخيران من: شعراء إسلاميون. نوري حمودي القيسي. (نقلا عن غزوات ابن حبيش). ص30-31.

(70)هو عبد الله بن سبرة الحَرَشيّ (بفتح الراء) منسوب إلى حريش بن كعب بن ربيعة. له صحبة، وشهد الفتح في بدء الإسلام. انظر: الإصابة في تمييز الصحابة. ابن حجر العسقلاني.دار الكتب العلية. لبنان. المجلد الثالث. 5/ 60. وانظر الأبيات أيضا في عيون الأخبار 192/3. وفي الأمالي . 47/1.

عدوه، تلك إذن قسمة منصفة! فقال(البسيط):

فـــإنْ يكُـــنْ اطْرَبُـــونُ الـــرُّومِ قَطَّعَهَـــا فقَـــدْ تَرَكْـــتُ بِـهَـــا أوصَـــالَهُ قِطَعَـــا[71]

وإن يكــــن اطْرَبُـــونُ الـــرُّومِ قَطَّعَهَـــا فـــإن فيهـــا بحمْـــدِ اللهِ مُنْتفعـــا

بَنَـــانَتَينِ وجُـــذْمُورا أقـــيمُ بهـــا صَـــدرَ القنـــاة إذا مـــا آنَسُـــوا فَزَعَـــا[72]

فإذا كان الشاعر قد انتصر على عدوه، وجز رأسه، وقطعه إربا، ومزق أحشاءه، فإنه لم يبخسه حقه من إظهار شجاعته، وثباته، وقوته، وحسن بلائه في القتال، وأن العدو لم يكن صيدا سهلا يمكن الانتصار عليه بيسر، ولم يكن هذا الاعتراف بقوة الخصم إلا ضربا من ضروب الإنصاف النابع من نفسية عربية ذاقت مرارة الحرب وقسوتها، وشهدت لخصمها بحقه عليها، ثم إن هذه النفسية العربية زادها إيمانها بالله تعالى قوة وثباتا واعترافا بالحق حتى لو للخصم. وربما قال قائل إن الشاعر يهول من خصمه حتى يُعرف بقوته، والحقيقة أن الشاعر العربي ربيب أخلاق حسنة في الجاهلية أقرها الإسلام وزادها تألقا وشرفا، لأنه جعل من قتاله الأعداء والاعتراف بفضيلتهم خلقا من الأخلاق الفاضلة التي يحمد عليها. ثم ليس كل من أظهر فضيلة عدوه كان بالضرورة منتصرا عليه، فربما قاتل الرجل العدو وقتله العدو. وهذا الأعْوَر بن قُطْبَة بارزَ شَهْرَ بَرَازَ سِجِسْتَان فقتل كل منهما صاحبه، فقال أخوه في ذلك(الرجز):

لـــــم أرَ يومـــــا كَـــــانَ أحْلَـــــى وَأمَـــــرْ

مِـــــنْ يَـــــومِ أغْـــــوَاثَ إذِ افْتَـــــرَّ الثَّغـــــرْ

مِـــــنْ غَيـــــرِ ضَـــــحكٍ كَـــــانَ أسْـــــوا وَأبَـــــرْ[73]

وقد كان الإنصاف لدى صحابة الرسول –صلى الله عليه وسلم-مثلا وقدوة، فهذا سعد بن أبي وقاص يقول في القادسية بعد أن مَنَّ الله عليه بالنصر، يقول(الوافر):

فقـــد لَقِيَـــتْ خُيـــولُهُمُ خيـــولا وقَـــدْ وقَـــعَ الفَـــوَارسُ فـــي الضـــراب

وقـــد دلفـــتْ بعْرصـــتهم فيـــولٌ كـــأنَّ زُهَاءَهَـــا إبـــلٌ جـــرابُ[74]

فلـــولا جمـــعُ قعقعـــاع بـــن عمـــرو وحمّـــالٍ لَلَجّـــوا فـــي الكِـــذَابِ

هُـــمُ منَعُـــوا جُمُوعَـــك بطعـــنٍ وَضَـــرْبٍ مِثْـــل تشـــقيقِ الإهـــابِ

ولـــولا ذاك ألفيـــتم رِعَاعـــا تُشَـــلُّ جمـــوعُكم مثـــل الـــذباب[75]

([71])اطربون: الرئيس من الروم.

([72])الإصابة في تمييز الصحابة. 5/ 60. وانظر الأبيات أيضا في عيون الأخبار 192/3. وفي الأمالي . 47/1.

([73]) تاريخ الرسل والملوك(ذخائر العرب30). لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري.تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. دار المعارف. الطبعة الثانية. 1968م. 547/3.

([74]) في البيت إقواء.

([75]) تاريخ الرسل والملوك. الطبري. 580/3.

المصادر والمراجع

1. **أبو محجن الثقفي. حياته وشعره. د. محمد مختار جمعة. مقال منشور في: حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية. جامعة الأزهر. العدد الخامس عشر. 1417هـ 1997م.**
2. **الإصابة في تمييز الصحابة. ابن حجر العسقلاني.دار الكتب العلية. لبنان. المجلد الثالث.**
3. **الأصمعيات . أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن عبد الملك (122هـ - 216هـ) تحقيق: أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون. دار المعارف. 1964م.**
4. **إنصاف الخصم في القرآن، وأثره الإعلامي. د. عبد الحكيم حفني. الهيئة المصرية العامة للكتاب. 1992م.**
5. **تاريخ الرسل والملوك(ذخائر العرب30). لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري.تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. دار المعارف. الطبعة الثانية. 1968م.**
6. **التطور والتجديد في الشعر الأموي. د. شوقي ضيف. دار المعارف بالقاهرة. الطبعة الثامنة. 1987م.**
7. **ديوان أبي محجن الثقفي.شرح: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل. مطبعة الأزهار البارونية. مصر.**
8. **ديوان الأعشى الكبير. ميمون بن قيس. مكتبة الآداب بالجماميز . المطبعة النوذجية.(د.ت) شرح وتحقيق: محمد محمد حسين.**
9. **ديوان أمية بن أُمَيَّة بن أبي الصَّلْت. جمع وتحقيق: سجيع جميل الجبيلي.. بيروت. لبنان .دار صادر. ط1 1998م.**
10. **ديوان حسان بن ثابت. حققه وعلق عليه: د. وليد عرفات. تولى طبعه أمناء سلسلة جب التذكارية. 1971م.**
11. **ديوان دريد بن الصمة. تحقيق: د. عمر عبد الرسول. دار المعارف. القاهرة. سنننة 1985م.**
12. **ديوان الهذليين. طبعة دار الكتب المصرية. الطبعة الثانية. سنة 1995م..2/ 241.**
13. **سمط اللالي المحتوي على اللآلي في شرح أمالي القالي للبكري.المجلد الثاني. ت: عبد العزيز الميمني.مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر, 1354هـ 1936م.**
14. **السيرة النبوية. لابن هشام. مكتبة الصفا. تخريج وتحقيق: وليد بن محمد بن سلامة وخالد بن محمد بن عثمان. الطبعة الأولى. 1422هـ 2001م.**
15. **الشعر وأيام العرب في العصر الجاهلي. د. عفيف عبد الرحمن. دار الأندلس. بيروت. لبنان. ط1 1984م.**
16. **شعراء إسلاميون. د. نوري حمودي القيسي. مكتبة النهضة العربية. ط2. 1405هـ 1984م.**
17. **شعر الفتوح الإسلامية في صدر الإسلام. النعمان عبد المتعال القاضي. الدار القومية للطباعة والنشر. 1965م.**
18. **شرح ديوان الحماسة. لأبي علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي. نشره: أحمد أمين وعبد السلام هارون. مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر. الطبعة الثانية. 1388هـ 1968م.**
19. **كتاب الألفاظ. أقدم معجم في المعاني. ابن السكيت يعقوب بن إسحاق. تحقيق: د.فخر الدين قباوة. مكتبة لبنان. الطبعة الأولى. 1998م.**
20. **المصون في الأدب. لأبي أحمد العسكري. تحقيق: عبد السلام محمد هارون. التراث العربي، سلسلة تصدرها وزارة الإعلام في الكويت. 1984م..**
21. **معجم البلدان. ياقوت الحموي.دار صادر. بيروت.1397هـ 1977م.**
22. **معارك العرب في الشرق والغرب. بطرس البساني. دار مارون عبود.لبنان. 1987م.**
23. **معجم الأدباء. ياقوت الحموي. تحقيق: إحسان عباس. دار الغرب الإسلامي. بيروت. لبنان. الطبعة الأولى. 1993م.**